

أحمد ومحمد علمين لا صفتين الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى: "إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ" الصف 6

سنستعرض في هذه المقالة جوانب من الاسمين المباركين اللذين اعتبره علماء المسلمين أنها معجزة للخاتم ص. وقد تم اختيار الاسم بعناية، فهما ليسا اعتباطا كما يقول تعالى في شأن النبي يحي ع" يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا" يقول الباقر أي لم يسم باسمه أحد قط (تفسير القمي)، ومعناه أن يحي يحي الله الإيمان. (تفسير الطبري). وهكذا فقد ورد أن لبعض الأنبياء اسمين كما في أسئلة الشامي سأل أمير المؤمنين عن ستة من الانبياء لهم اسمان وذكر منهم النبي ص وله محمد، وأحمد.

وقد ميّز ابن شهر اشوب في المناقب (مناقب آل أبي طالب) بين الاسم المبارك للنبي واللقب، وصنفهما على قسمين: قرآنية وأحاديث مثل طه يس. وأعجمية ذكرت في الكتب السابقة وأثبت القرآن معنى اسما واحدا وهو أحمد الذي ذكره على لسان النبي عيسى عليه السلام.

والسؤال: ما دلالة الاسم أحمد؟ وما لذي يمتاز عن الاسم محمد؟ وللإجابة عن ذلك لنا مرجعيات ثلاث:

الأول: المرجعية الإسلامية

اتفقت كلمة المسلمين أن له ص حدود ألف اسم، وسمي من أسماء الله الحسنى نحو 70 اسما، واتفقوا أنه لم يسم أحد قبله بأحمد. (انموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي ص27) وذكروا أن الاسمين محمد وأحمد علمان كما يقول الخليل في العيذ(لا صفتان كغيرهم) وهي مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح و الكمال وليس صفة (بمعنى أن الاسم دال على صفته ، بخلافنا نحن ربما واحد اسمه جميل وليس بجميل) ، وخص بهذا الاسم لهذه العلة تكتشف من خلال فلسفة بعثته ص فعن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر قال : إن لرسول الله عشرة أسماء : خمسة منها في القرآن ، وخمسة ليست في القرآن ، فأما التي في القرآن ذكر منها محمد ، وأحمد ، وعبدالله ، ويس ، ون . ورواية أن له 400 اسم في القرآن الكريم (البحار

الثاني: مرجعية التفسير

لقد ورد اسم أحمد في القرآن مرة واحدة، بخلاف محمد (4) مرات، ولو تمعنا أيضا أن القرآن يحكي حكاية على لسان عيسى ع ويبين أن المكتوب في الإنجيل هو اسم أحمد، وهذا ما أثبتته أبو طالب في شعره فتارة يخاطبه بأحمد:

وقالوا لأحمد أنت امرء خلوف اللسان ضعيف السبب

ومرة يقول: ألم تعلموا أن وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أول الكتب (ميزان).

لكن لماذا لم يذكر النبي عيسى باسمه صراحة (محمد) ولماذا لم يسمه جده عبد المطلب (أحمد)؟ (أو في الرواية أن آمنة هي التي سمته لرؤيا رآته في المنام) أن تسميه محمد أو المسمي له بمحمد جده عبد المطلب. (السيرة الحلبية 1/115) فعلى كل الاحتمالات اختيار اسمه بالرغم من أنه حكمة من الباري.

فالمرجعتان الإسلامية والتفسيرية تؤيد أن صدق اسم أحمد ومحمد على النبي الخاتم هو مقصود قائم بذاته أولا وتأيد من الله تعالى على لسان بعض أوليائه.

ولكن هذا لا يعطينا انطبعا عن الاسمين إلا بعد الرجوع إلى مرجعيتين آخريتين.

الثالث: المرجعية اللغوية

ذكر أهل اللغة أن الاسمين المباركين (أحمد ومحمد) مشتق من الفعل (حَمَدَ) والتي منها اشتققنا (الحمْدُ - الحميد-محمود-حُمْدَة- إلخ) والحمد نقيض الذم وهو الثناء. فإذا جئنا إلى مفردتي أحمد ومحمد، فأحمد استخدمها النبي عيسى لغاية طاهرة في الآية كما سيأتي لا على أنه لسانه عجمي، فأحمد الرجل لا يقال له أحمد إلا (إذا رضي فعله ومذهبه ولم ينشره) ويقول سيبيوه أنه مستحق للحمد، ويقول الرازي إما مبالغة في الفاعل (أكثر حمداً من غيره) أو مبالغة في المفعول (يُحمد بما فيه من الإخلاص والأخلاق الحسنة أكثر ما يحمد غيره). ويقال للأرض أيضا أحمد (إذا جاءها ورآها صالحة للسكنى والمرعى)

فيتبين أن كلمة أحمد: تقال للشخص وأيضا للجملات قبل أن يستظهر ما فيه من كمالات، ولهذا قال عيسى (ومبشرا) وهي للشئ الذي لم يحن بعد.

أما كلمة محمد إذا استبان أنه مستحق للحمد حمد مرة بعد أخرى (سيرته أفعاله أخلاقه وهكذا) حتى قالوا الحمد الذي كثرت خصاله المحموده (حمد مرة بعد أخرى) يقول الأعشى: إليك أبيت اللعن كأن كلالها ... إلى الماجد القرم الجواد المحمد. فإذا تبين أنه كذلك يقال عنه محمد.

وفي المثل الجاهلي (العود أحمد) أي أكثر حمدا فلم تجر إلا جئت في الخير سابقا ولا عدت إلا أنت في العود أحمد (شخص رفض للزواج ثم جاء في العام القادم فعرفوا أنه أحمد، ولما يتزوج ويعرفوا عنه الخصال سمي بمحمد) وفي الدعاء من أنفق ماله على نفسه لا يتحمد به إلى الناس أي لا يجلب المديح لنفسه وإنما يحمد إذا أحسن إلى الناس. فالابتداء أحمد، وفي العود محمد. (راجع: لسان العرب - تاج العروس). ولما استتم كماله ص قالوا عنه محمد كما يقول حسان الذي ضمن أبياته بيت لأبي طالب: أغر عليه للنبوّة خاتم... من الله نور يلوح ويشهد. وضم الإله اسم النبي إلى اسمه... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد. وشق له من اسمه ليحله... فذو العرش محمود وهذا محمد (ويعترف البخاري أن البيت الأخير لأبي طالب (منتهى السؤال على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول 177-178) فعنوان المقابلة محمود - محمد فمحمود مفعول اسم لما

يحمد على كل حال ولا معنى أن يقال الله أحمد، ومحمد من اشتمل على جميع الخصال حتى يوم القيامة سيكون اللواء اسمه حمد وله مقام محمود وكلاهما يتطلع الناس إلى الانضمام تحته. وقد أتى بهذا المعنى من الشواهد العديدة منها: كما في بحار الأنوار ج1 ص35 والفقهاء عن ابن قيس، عن أبي جعفر قال: إن اسم النبي في صحف إبراهيم الماحي، وفي توراة موسى الحاد؟ وفي إنجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمد، (إلى أن قال) ... فما تأويل أحمد؟ قال: حسن ثناء الله عليه في الكتب بما حمد من أفعاله، قيل: فما تأويل محمد؟ قال: إن الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمونه ويصلون عليه، وإن اسمه المكتوب على العرش محمد رسول الله. الحديث. كيف نوفق بين قول (في السماء أحمد وفي الأرض محمد) هنا صفة أفعال تفضيل كما في رواية عنه ص (أما محمد فإنني في الأرض محمود، وأما أحمد فإنني في السماء أحمد منه في الأرض). ولما سئل عبد المطلب لم سميت محمد ولم تسمه باسم آبائه؟ فقال: أردت أن يحمده الله في الأرض (أحمد أفعال تفضيل) ويحمده الناس في الأرض أو خلقه في الأرض (محمد أفعاله وصفاته) ثم أنشد يقول: (رووا أصحاب السير من المسلمين قاطبة) الحمد لله الذي أعطاني * * هذا الغلام الطيب الأردان. قد ساد في المهد على الغلمان * * أعيذه بالبيت ذي الأركان. حتى يكون بلغة الفتیان * * حتى أراه بالغ التبيان. أعيذه من شر ذي شأن * * من حاسد مضطرب العيان ذي همة ليس له عيان *

* حتى أراه رافعا للشان أنت الذي سميت في الفرقان * * أحمد مكتوب على اللسان. جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطي. ولذلك خطاب الله نبيه يوم المعراج كان به (أحمد) وهو المشتهر بين أهل المحل المقدس وفي رواية المعراج الخطاب بدأ باسم (محمد) باعتباره الجامع للخير، ثم لما أرادت أن تبين هذه الجوامع خاطبته بأحمد في 33 موضعا والسبب هي أن هذه الاتصافات لي ولك (انظر للرواية) روي عن أمير المؤمنين أن النبي سأل ربه سبحانه ليلة المعراج فقال : يارب أي الأعمال أفضل؟ فقال الله عزوجل : ليس شيء عندي أفضل من التوكل علي والرضى بما قسمت يا محمد (ثم عدد الأعمال) منها: يا أحمد إن أحببت أن تكون أروع الناس فازهد في الدنيا وارغب في الآخرة (إلى أن يقول) يا أحمد هذه درجة الانبياء والصديقين من امتك وامة غيرك وأقوام من الشهداء. بحار الأنوار ج30-21/77

ولذا فهم سيويه هذا الكلام ووظفه في دائرة لغوية وأيضاً عقدية (بحار الأنوار ج16م309) أحمد : على وزن أفعل تفضيل يقول (بالنسبة مع الأنبياء في عالم القدس هو أحمد ، وفي الأرض عند مجيئهم فموسى مثلاً بالنسبة إلى قومه محمد يفوقهم فضائل والنبي في الأرض أيضاً قياساً لهم محمد) وهذا نفس كلمة (المصطفى) آدم مصطفى- نوح مصطفى - إبراهيم مصطفى. ولما جاء الدور للنبي قال (خاتم) (ختامه مسك).

الرابع المرجعية التاريخية: لم يسم أحد من المسلمين (بأحمد) في الفترة الأولى، تبعاً للمعنى اللغوي، فلم يوجد عندنا من أصحاب الأئمة اسمه أحمد (راجع رجال الطوسي - النجاشي- معجم الخوئي) وعند العامة اجمعوا على اسم واحد والتسمية جاءت متأخرة من قبل النسائي (أحمد بن حفص بن المغيرة) ((أسد الغابة - الإصابة)). وأما (محمد) فقد سموا من الأصحاب كثير.

أما ما قبل الإسلام فقد سموا ومنهم كما قيل الخضر وهو ضعيف، ومنهم أيضاً: وهو كما ذكروا (قيل) وهي للتضعيف: أحمد بن ثمامة الطائي، وأحمد بن دومان البكيل، وأحمد بن زيد بن خراش السكسكي ومن القبائل: بنو أحمد، في همدان؛ وبنو أحمد، في بكيل؛ وبنو أحمد، في طيئ. فأطن أن المقصود بها يحمد (فهم دائماً يحمدون آلهتهم، ويوجد ملوكاً بهذا الاسم) موجز دائرة المعارف 471-4470/2 وفي النقوش الصفوية الشمالية العربية لمشارف الشام يبدو أن ثمة أسماء بهذه البنية مختصرات لمركبات من اسم الله مثل «حمد الله». أما أن يصدق هذا على العربية الفصحى في الحجاز فموضع شك. موجز دائرة المعارف ج2م460 ومن الآلهة التي نجد لها أثراً في عبادة اللحيانيين الإله: «حمد» «حميد» فقد ورد في اسم امرأة عرفت بـ«أمت محمد بنت عصم». وأرى أن «حمد» أو «حميد ليس اسم إله، أي اسم علم، وإنما هو نعت من نعوت الآلهة، أي اسم من الأسماء الحسنى، التي يسم الإنسان بها آلهته، على سبيل التأدب والاحترام.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج11ص321

. بينما محمد قبل الإسلام فقد سموا به واختلف في العدد وقد حصرهم ابن حجر في فتح الباري مبتدءًا بتعليق القاضي عياض(حَمَى اللّٰهُ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَنْ يُسَمَّيَ بِهَا أَحَدٌ وَقَبْلَهُ وَإِنَّمَا تَسَمَّى بَعْضُ الْعَرَبِ مُحَمَّدًا قُرْبَ مِيلَادِهِ لِمَا سَمِعُوا مِنَ الْكُهَّانِ وَالْأَحْبَارِ أَنَّ نَبِيًّا سَيُيْعَثُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يُسَمَّى مُحَمَّدًا فَرَجَوْا أَنْ يَكُونُوا هُمْ فَسَمَّوْا أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ). وهذا النص يظهر لنا أن التسمية كانت قريبة العهد بالمولد النبوي الشريف.

وسبب التسمية بمحمد يختلف من شخص لآخر:

(1) بعضهم سموا بمحمد للمحبة والتبرك.

خَلِيفَةُ بَنِي عَبْدِدَةِ الْمِنْقَرِيَّ قَالَ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَدِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ كَيْفَ سَمَّاكَ أَبُوكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُحَمَّدًا قَالَ سَأَلْتُ أَبِي عَمَّا سَأَلْتَنِي فَقَالَ خَرَجْتُ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَنَا أَحَدُهُمْ وَسُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ وَيَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ رَبِيعَةَ وَأُسَامَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ الْعَنْبَرِ نُرِيدُ بَنَ جَفْنَةَ الْغَسَّانِيَّ بِالشَّامِ فَنَزَلْنَا عَلَى غَدِيرٍ عِنْدَ دِيرٍ فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا الدَّيْرَانِيُّ فَقَالَ لَنَا إِنَّهُ يُيْعَثُ مِنْكُمْ وَشَيْكًا نَبِيًّا فَسَارَعُوا إِلَيْهِ فَقُلْنَا مَا اسْمُهُ قَالَ مُحَمَّدٌ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا وَلِدَ لِكُلٍّ مِنْهَا وَلَدٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا لِذَلِكَ).

(2) بعضهم أغراهم حتى يكون هو النبي مثل محمد بن أحيحة بن الجلاح وهو أول من تسمى بمحمد (تَلَقَّى ذَلِكَ مِنْ قِصَّةِ تَبَّعٍ لَمَّا حَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَحَدُ حَيَّةِ الْمَذْكُورِ هُوَ وَالْحَبِيرُ السَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ بَيْتٌ رُبَّ فَأَخْبِرَهُ الْحَبِيرُ أَنَّ هَذَا بَلَدُ نَبِيٍّ يُيْعَثُ يُسَمَّى مُحَمَّدًا فَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا).

(3) محاربة لأهل مكة فأبرهة الحبشي لم يرد فقط إهانة الكعبة، وإنما أيضا ليعدل الناس عن توجه أنظارهم إليها باعتبارها قبلة النبوة (مُحَمَّدٌ بْنُ خُزَاعِيٍّ طَمَعًا فِي النَّبُوءَةِ وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيَّ تَوَجَّهَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي كِنَانَةَ فَقَتَلُوهُ) فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ قِصَّةِ الْفِيلِ.

وأخيرا أن أهل الكتاب الذين كانوا على علم لم يسموا بأحمد ولا محمد إما حسدا أو لمعرفتهم أنه ليس منهم أو تحريما عليهم أن يتسمون به.

النتائج:

أولا: اختيار الاسم ليس اعتباطا.

ثانيا: المختص في الإنجيل هو أحمد. أما المختص في القرآن وفي كلام العرب هو (محمد).

ثالثا: استخدم القرآن كلام العرب في إطلاق اسم النبي العربي بمحمد الذي ترجع إليها كل الصفات الفعلية والأخلاق الحمودة ولهذا أطلق على كل المناصب الإلهية بالحمد (لواء الحمد - المقام المحمود) بخلاف أحمد التي تكون قبل أي فعل.

رابعا: اختصاص أحمد كان في السماء قبل أن يأتي إلى الأرض، وعند نزوله فهو محمد في الأرض وهذا بعنوان المقابلة لا يمكن أن يكون محمد في الأرض ومحمد في السماء لما مضى ولذا قيل في الرواية (أما محمد فإني محمود في الأرض، وأما أحمد فإني محمود في السماء)

خامسا: من الأمور الفقهية أن ذكر النبي والصلاة عليه يشمل كل ما يدل عليه ففي العروة الوثقى (ولا فرق بين أن يكون ذكره باسمه العَلَمي كمحمد وأحمد أو بالكنية واللقب كأبي القاسم والمصطفى والرسول والنبي أو بالضمير). أم في الصلاة الواجبة فلا بد من ذكر اسمه الشريف (محمد) لأنها من تمام الصلاة كما في الروايات والسبب الآخر لا معنى لأن نقول أحمد بعد أن جربنا خيرات هذا الرسول وبركاته التي عمت الوجود بأكمله.

اللهم صل على محمد وآل محمد